

هَدِيَّةُ أَبِي دَلَامَة

بقلم : ا. عبد الحميد عبد القصود

بريشة : ا. عبد الشافي بسيد

إشراف : ا. حمدي مصطفى



كان أبو دلامة شاعراً ظريفاً ، خفيف الظل محبوباً .. وكان
ذكياً يعرف من أين تؤكل الكتف ، يتكسب من شعره .. وكان
يمدح الخلفاء والأمراء ، ويعرف كيف ينال هداياهم
وعطاياهم ..

وقد عاصر أبو دلامة الخليفة المنصور ، فحضر
مجالسه ومدحه ونال عطاياه .. فلما توفي المنصور ، تولى
الخليفة بعده ابنه المهدي ، وأقبلت وفود المسلمين من



أَنْحَاءَ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْمُتَرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ ، لِمُبَايَعَتِهِ
بِالْخِلَافَةِ ..

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْوُفُودِ شُعْرَاءُ وَأَدَبَاءُ كَثِيرُونَ جَاءُوا لِمَدْحِ الْخَلِيفَةِ
الْجَدِيدِ ، وَنِيلِ عَطَايَاهُ ، أَزْدَحَمَتْ بِهِمْ قُصُورُ الْخِلَافَةِ ،
وَضَاقَ وَقْتُ الْمَهْدَى عَنْ لِقَائِهِمْ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى قَصَائِدِهِمْ ..
أَمَّا شَاعِرُنَا أَبُو دَلَّامَةَ ، فَقَدْ نَظَّمَ قَصِيدَةَ قَصِيرَةً ، أَثْنَى فِيهَا
عَلَى الْخَلِيفَةِ الرَّاحِلِ ، وَذَكَرَ مَحَاسِنَهُ ، وَمَدَحَ
فِيهَا الْخَلِيفَةَ الْجَدِيدَ ..



وظل أبو دلامة يتردد على قصر الخلافة ، حتى يحظى بمقابلة
المهدي ، ليهنئه بالخلافة ، ويلقى على مسامعه قصيدته
العصماء ، لكن الحراس والحجاب لم يمكنوه أبداً من الدخول
عليه .. وبرغم ذلك لم يئس أبو دلامة ، وظل يتردد على أبواب
القصر في الصباح والمساء ، عسى أن يظفر بفرصة للقاء ..

و ذات يوم كان أبو دلامة مسرعاً إلى قصر الخلافة ، وهو
يحمل الرقعة التي كتب فيها قصيدته - والتي كادت تبلى من
كثرة إمساكه لها ، وحرصه على حملها ، في الذهاب والعودة -
فراه بعض أصدقائه ، وهو يسرع الخطى ، فاقتربوا منه وأوقفوه .
فقال له أحدهم :

- إلى أين العزم يا أبا دلامة ؟ !

فقال أبو دلامة :

- إلى قصر الخلافة ..

وقال آخر متهمكماً :

- وماذا تعمل في قصر الخلافة ؟ ! هل عينوك خليفة بدل

الخليفة الراحل ؟ ! لقد عينوا ابنه المهدي ..

فقال أبو دلامة :

- بل كُتِبَتْ فِيهِ شِعْرًا ، وَسَأَنْشِدُهُ إِيَّاهُ ..

وقال ثالثٌ سَاحِرًا :

- وَطَبْعًا تَطْمَعُ فِي عَطَاءِ الْمَهْدَى !؟

فقال أبو دلامة واثقًا مِنْ نَفْسِهِ :

- بَلْ أَطْمَعُ فِي ثَرْوَةٍ ..

فقال الأول :

- لَا تُتْعِبْ نَفْسَكَ .. لَقَدْ مَدَحْنَاهُ قَبْلَكَ بِشِعْرِ رَائِعٍ



عندمَا كَانَ أَمِيرًا لِطَبْرِسْتَانَ ، وَمَا فُزْنَا مِنْهُ إِلَّا بِالْقَلِيلِ ..

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- لَيْسَ كُلُّ مَنْ نَظَّمَ شِعْرًا مَدَاحًا ..

وَقَالَ الثَّانِي :

- أَنْتَ شَاعِرٌ مُخَضَّرٌ ، وَتَعْرِفُ كَيْفَ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ ..

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- سَوْفَ تَرَوْنَ وَتَسْمَعُونَ ، أَنَّنِي سَوْفَ أَفُوزُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ

الْقَصِيدَةِ بِشُرُوعِ تَرْيْحِنِي مِنَ الْكَدِّ وَالْعَمَلِ طَوَالَ حَيَاتِي ..

وَانْصَرَفَ أَبُو دُلَامَةَ إِلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ ..

وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ حَاوَلَ الْحُرَّاسُ وَالْحُجَّابُ مَنَعَهُ مِنَ الدُّخُولِ ،

كَمَا حَدَثَ فِي الْمَرَّاتِ السَّابِقَةِ ، فَخَطَفَ أَبُو دُلَامَةَ سَيْفًا مِنْ

جِرَابِ أَحَدِهِمْ وَوَضَعَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ مُهْدِدًا بِقَوْلِهِ :

- إِنْ لَمْ تَسْمَحُوا لِي بِالدُّخُولِ عَلَى الْخَلِيفَةِ قَتَلْتُ بِهِذَا السَّيْفِ

نَفْسِي ، فَيَقْتُلُكُمْ الْخَلِيفَةُ بِقَتْلِي ..

فَخَافَ الْحُرَّاسُ أَنْ يَنْفِذَ أَبُو دُلَامَةَ تَهْدِيدَهُ ، وَيَحْمِلَهُمْ

مَسْئُولِيَّةَ قَتْلِهِ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ .. وَطَلَبُوا مِنْهُ الْإِنْتِظَارَ قَلِيلًا ، حَتَّى

يُخْبِرُوا الْخَلِيفَةَ بِوُجُودِهِ ..

وَأَسْرَعَ رَئِيسُ الْحُرَّاسِ إِلَى مَجْلِسِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَّثَ
مِنْ تَهْدِيدِ أَبِي دُلَامَةَ بِقَتْلِ نَفْسِهِ ، إِنْ لَمْ يَسْمَحُوا لَهُ بِالِدُخُولِ ،
فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ مِنْ طَرَافَةِ الْمَوْقِفِ وَقَالَ :

- أَدْخِلُوا صَدِيقَنَا أَبَا دُلَامَةَ فَوْرًا ..

فَلَمَّا مَثَلَ أَبُو دُلَامَةَ بَيْنَ يَدَيِ الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ حَيَّاهُ وَهَنَّا
بِالْخِلَافَةِ ، فَأَمَرَهُ الْمَهْدِيُّ بِالْجُلُوسِ .. ثُمَّ قَالَ لَهُ :

- عَلِمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ تُنْشِدُنِي شِعْرًا ..

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- نَعَمْ أَعِزُّ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ..



فقال المهدي :

— شوقتنا لسماعه ، فأنشد أبا دلامة ..

فنشر أبو دلامة الرقعة بين يديه ، وراح ينشد قائلا :

عَيْنَايَ وَاحِدَةٌ تُرَى مَسْرُورَةٌ بِأَمِيرِهَا جَذَلِي وَأُخْرَى تَذْرِفُ
تَبْكِي وَتَضْحَكُ تَارَةً وَيَسُوءُهَا مَا أَنْكَرْتَ وَيَسُرُّهَا مَا تَعْرِفُ



فَيَسُوءُهَا مَوْتُ الْخَلِيفَةِ مُحَرَّمًا وَيَسُرُّهَا أَنْ قَامَ هَذَا الْأَرَأْفُ
 مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَا رَأَيْتُ وَلَا أَرَى شِعْرًا أُسْرِحُهُ وَآخِرُ يَنْتَفُ
 هَلَكَ الْخَلِيفَةُ يَا لَدِينِ مُحَمَّدٍ وَأَتَاكُمْ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَخْلَفُ
 أَهْدَى لِهَذَا اللَّهِ فَضْلَ خِلَافَةٍ وَلِذَاكَ جَنَّاتِ النَّعِيمِ تُزَخَّرُ



فلَمَّا انْتَهَى أَبُو دُلَامَةَ مِنْ قِرَاءَةِ قَصِيدَتِهِ ، الَّتِي حَرَصَ عَلَى
إِلْقَائِهَا بِطَرِيقَةٍ مُؤَثِّرَةٍ ، صَفَّقَ لَهُ الْحَاضِرُونَ اسْتِحْسَانًا وَإِعْجَابًا ..
وَقَالَ الْخَلِيفَةُ الْمَهْدِيُّ :

- أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ وَأَجَدْتَ أَبَا دُلَامَةَ ..

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ بِتَوَاضُعٍ وَاضِحٍ :

- هَذَا قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ ، كَانَ يَجِبُ أَنْ أَضْمِنَهُ قَصِيدَتِي يَا مَوْلَايَ ..
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- لَقَدْ أَوْجَزْتَ فَأَعْجَزْتَ .. وَالْآنَ سَلْنِي حَاجَتَكَ أَبَا دُلَامَةَ ..

فَأَمْسَكَ أَبُو دُلَامَةَ بَطْنَهُ ، مُعْبِرًا عَنْ شِدَّةِ جُوعِهِ وَقَالَ :

- الطَّعَامَ أَوَّلًا يَا مَوْلَايَ .. ثُمَّ الطَّعَامَ .. ثُمَّ الطَّعَامَ ... فَأَنَا الْآنَ
جَائِعٌ ، وَفِي رَأْسِي أَفْكَارٌ كَثِيرَةٌ مَشْوِشَةٌ ، وَالْجَائِعُ دَائِمًا
لَا يُحْسِنُ مَا يَقُولُ ..

فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَضَحِكَ الْحَاضِرُونَ ، حَتَّى اسْتَلْقَوْا عَلَى
أَقْفِيتِهِمْ مِنَ الضَّحِكِ ، وَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِعِشَاءٍ فَاخِرٍ ، حَتَّى تُحْسِنَ
مَا تَقُولُ ..

وَأَمَرَ الْمَهْدِيُّ الطَّبَّاخِينَ أَنْ يَأْخُذُوا أَبَا دُلَامَةَ إِلَى خُوَانِ الطَّعَامِ ،

وَأَنْ يُقَدِّمُوا لَهُ أَفْخَرَ طَعَامٍ .. فَلَمَّا جَلَسَ أَبُو دَلَامَةَ إِلَى الْخَوَانِ
وَرَأَى أَمَامَهُ مِنْ أَصْنَافِ الطَّعَامِ الْكَثِيرِ ، حَارَ مَاذَا يَأْكُلُ وَمَاذَا يَدْعُ
خَاصَّةً مِنَ اللَّحُومِ ، فَرَاغَ يُمْسِكُ دَجَاجَةً مُحَمَّرَةً وَيَقْضِمُ مِنْهَا
قِضْمَةً .. ثُمَّ يَتْرُكُهَا وَيُمْسِكُ فَخْذَ ضَأْنٍ فَيَأْخُذُ مِنْهُ قِضْمَةً ، ثُمَّ
يَتْرُكُهَا وَيَتَحَوَّلُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَمَعَ كُلِّ قِضْمَةٍ كَانَ يُطْلِقُ عِبَارَاتٍ
يُشْجِعُ بِهَا نَفْسَهُ قَائِلًا فِي مَرَحٍ :

- هَذِهِ حَتَّى أَحْسَنَ التَّفْكِيرِ .. وَتِلْكَ حَتَّى أَجِيدَ التَّدْبِيرِ ..

وَهَذِهِ حَتَّى أَطْلُبَ الْكَثِيرَ .. وَتِلْكَ الْعَبْدُ فِي التَّفْكِيرِ ،

وَالرَّبُّ فِي التَّدْبِيرِ ..



وخلال ذلك كان الخدم والطباخون يراقبونه عن قرب
ويضحكون ..

فلما انتهى من طعامه ، عاد إلى مجلس الخليفة ، متثاقلاً ،
وقد ارتسمت على وجهه علامات النشوة ، فقال له المهدى :
- قد أحسنت الطعام ، فأحسن الكلام .. والآن سألني حاجتك ..
فقال أبو دلامة :

- أسألك يا أمير المؤمنين أن تهب لي كلباً ..

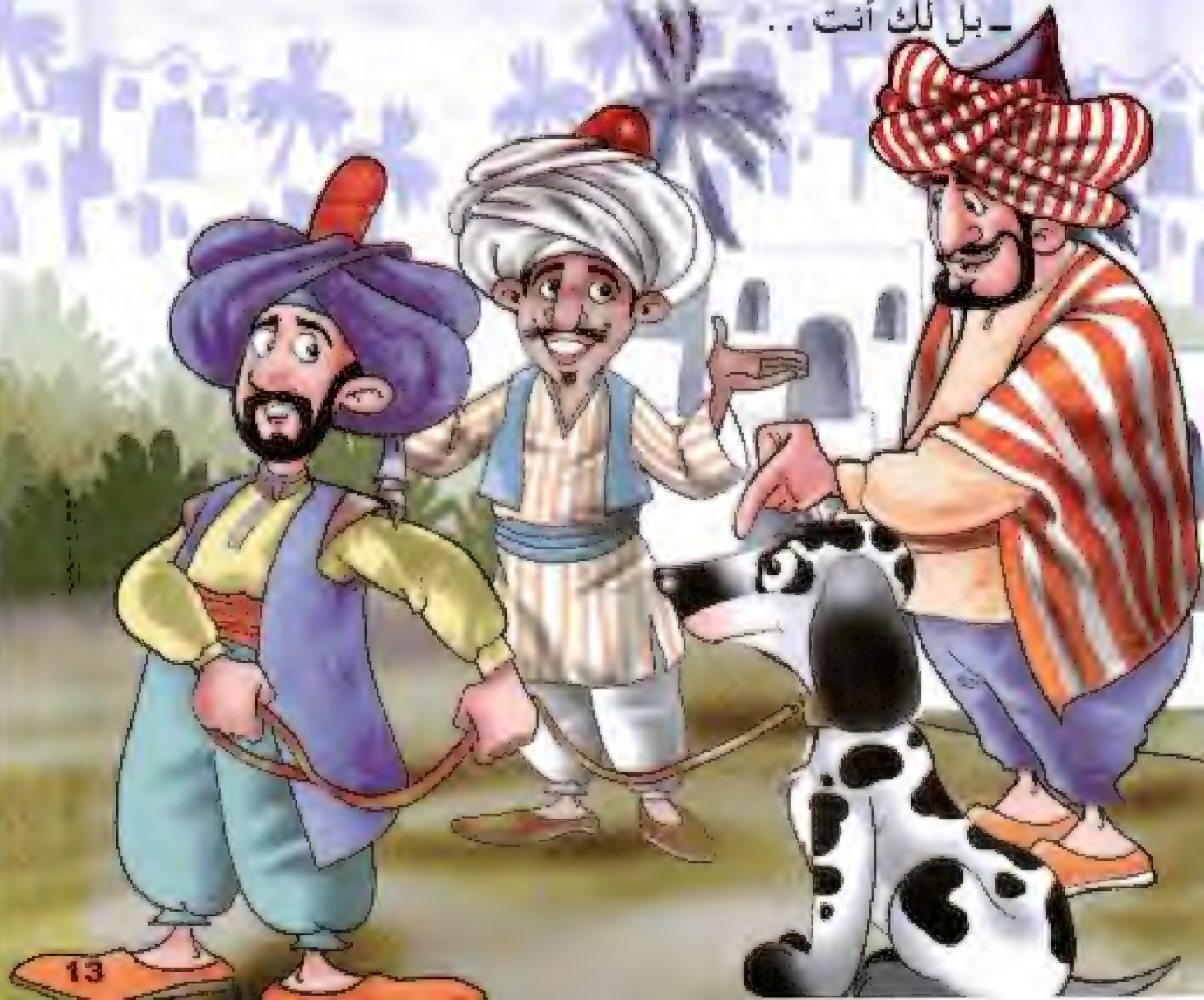


فَتَبَادَلُ الْحَاضِرُونَ فِي الْمَجْلِسِ نَظَرَاتٍ تُعْبِرُ عَنْ دَهْشَتِهِمْ
وَاسْتِنْكَارِهِمْ لِهَذَا الطَّلَبِ الْغَرِيبِ ، وَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَسَلِّنِي حَاجَتَكَ ، فَتَقُولَ هَبْ لِي كَلْبًا !؟
فَقَالَ أَبُو دَلَامَةَ :

- يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَلِ الْحَاجَةُ لِي أَنَا ، أَمْ لَكَ أَنْتَ !؟
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- بَلْ لَكَ أَنْتَ ..



فقال أبو دلامة :

- فإني أسألك أن تهب لي كلب صيد ..

فقال المهدى سعيداً بهذا الطلب البسيط ، الذي لن يكلفه كثيراً وقال :

- قد أمرت لك بكلب من أمهر كلاب الصيد ..

فشكره أبو دلامة وغادر قصر الخلافة وهو يجر كلباً من كلاب الصيد الخاصة بالخليفة والمدرية تدريباً جيداً ..

فقابلته أصدقاؤه الشعراء ، فلما رأوه يجر كلباً سخروا منه وتندرأوا عليه ، وقال أحدهم متهمكماً :

- أهذه هي الثروة الضخمة التي حققت قدماك حتى حققتها من مدحك للخليفة ؟ !

وقال آخر :

- كلب صيد ؟ ! يا لها من ثروة ضخمة حقاً !

فقال أبو دلامة :

- يا أبلهان أنتم لا تعلمان ما سوف يجره على ذلك الكلب من ثروة .. ومن الخليفة أيضاً ..

وقال ثالثٌ متهكِّمًا :

- لا بُدَّ أنكَ قرَّرتَ أن تصيدَ بذلكَ الكلبَ النُّمُورَ والسِّباعَ ،
وتبيعَها للخليفة ..

فتركهم أبو دلامة وانصرف .. وفي اليوم التالي توجه إلى
قصر الخليفة ، فلما مثل بين يديه قال :
- يا مولاي ، قد وهبتني كلبٌ صيد ..



فقال المهدي :

- هذا بناء على طلبك ، وتلبية لرغبتك ..

فقال أبو دلامة :

- يا أمير المؤمنين ، هب أنني خرجت للصيد ، في شعاب
الجبال وهجير الصحراء ، فهل أعدو على قدمي ، ويصيبني من
الأذى ما قد يتسبب في موتي ، فتحرم من أنسي وشعري ؟ !

فضحك الخليفة من ظرفه وقال :

- قد وهبت لك جواداً ..

فشكره أبو دلامة وانصرف .. وفي هذه المرة خرج من باب
القصر منتظياً صهوة جواد من أفضل جياد الخليفة ، وكلب
الصيد يعدو خلفه .. فلما رآه أصدقاؤه سخرُوا منه وتندروا
عليه كعادتهم معه ..

وقال أحدهم متهاكماً :

- ما هذا يا أبا دلامة ؟ جواد مرة واحدة ، وقد عهدناك

تركب حماراً ؟ !

وقال آخر متندراً :

- لقد تقدمنا خطوة ، بل خطوات .. من أين لك هذا الجواد ؟ !

وقبل أن يجيب أبو دلامة ، ردّ أحدهم قائلاً :
- ربّما صاده بالكلب ..

فقال أبو دلامة :

- يا حمقى ، بل صدّته بذكائي من اسطبل الخليفة ..

فقال أحدهم متّهماً :

- لعله جرّء من الشّروة ، التي تطمّع فيها ..

فتركهم أبو دلامة وانصرف .. وفي اليوم التالي

توجّه إلى مجلس الخليفة ، وبأدبه قائلاً :



- يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ وَهَبْتَنِي كَلْبَ صَيْدٍ يَقُومُ بِاقْتِنَاصِ
الْفَرَائِسِ ، وَوَهَبْتَنِي جَوَادًا أَعْدُو بِهِ خَلْفَ الْفَرَائِسِ ..

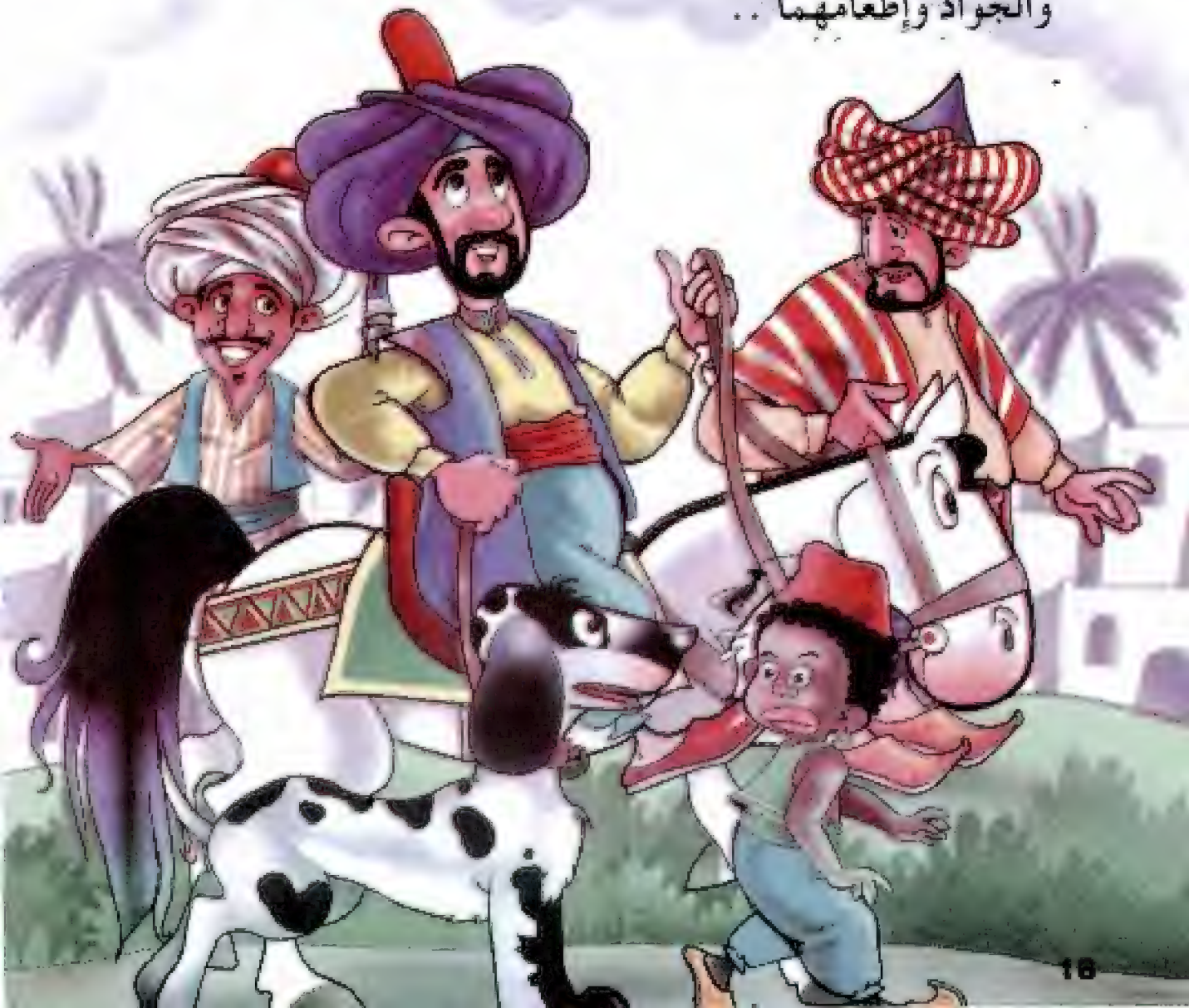
فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- هَذَا بِنَاءٌ عَلَى طَلَبِكَ وَرَغْبَتِكَ .

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- لَكِنَّكَ لَمْ تَهَبْنِي يَا مَوْلَايَ مَنْ يَقُومُ عَلَى رِعَايَةِ الْكَلْبِ

وَالْجَوَادِ وَإِطْعَامِهِمَا ..



فقال المهدي :

ـ قد وهبتك غلاماً يقوم برعاية الكلب والجواد ..

فشكره أبو دلامة وانصرف .. وفي هذه المرة خرج من باب

القصر ممطياً صهوة الجواد يتبعه غلام و كلب صيد ..

وعندما رآه أصدقاءه هذه المرة ، لم يستطيعوا التندر عليه ،

كما حدث في المرات السابقة ، برغم أنهم لم يروا حتى الآن أي

أثر ملحوظ للثروة المزعومة ، التي وعدهم باقتناصها من الخليفة ..



واكتفوا بأن قالوا : إنهم ينتظرون على أحر من الجمر ،
فتركهم أبو دلامة وانصرف ..

وفي اليوم التالي توجه إلى قصر الخلافة ، ودخل على المهدي
قائلاً :

- يا أمير المؤمنين ، قد وهبتني كلباً و...

فقاطعه المهدي قائلاً :

- أعلم .. كلباً وغلماً وجواداً ..

فقال أبو دلامة :

- هب أنني ركبت جوادى ، واصطبحت الكلب والغلām في
رحلة صيد .. وهب أنني صدت صيداً وأتييت به إلى الدار ، فمن
يقوم بتنظيفه وطهيهِ ، وأنا رجل عذب لا زوجة لى ، كما يعلم
مولائى ...

فضحك المهدي وقال :

- قد أمرت بزواجك على نفقتى الخاصة ، حتى تجد من تطهو
لك طعامك .. يا حاجب

فقاطعه أبو دلامة قائلاً :

- لا .. انتظر يا مولائى .. لى مطلب آخر صغير ..

فقال المهدي :

- تكلم .. اطلب ..

فقال أبو دلامة :

- هب أننى تزوجت على نفقتك يا مولاي ، وأحضرت زوجتي ،
فأين تقيم ، ومنزلي صغير جداً ، ولا يسعنا معاً ، فما بالك
بالعيال ؟!



فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ :

- قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمَنْزِلٍ كَبِيرٍ ، يَسَعُكَ وَيَسَعُ زَوْجَتَكَ وَعِيَالَكَ ..

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- هَبْ أُنْنِي تَزَوَّجْتُ وَأَحْضَرْتُ زَوْجَتِي إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَمَنْ يَقُومُ

عَلَى خِدْمَتِهَا فِي هَذَا الْمَنْزِلِ الْكَبِيرِ ؟ !

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِجَارِيَةٍ تَقُومُ عَلَى خِدْمَةِ زَوْجَتِكَ ..

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- أَكْرَمَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا أَكْرَمَنِي ..

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ :

- هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ أُخْرَى يَا أَبَا دُلَامَةَ ؟ !

فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

- يَا مَوْلَايَ ، قَدْ أَمَرْتُ بِتَزْوِيجِي ، فَصَيَّرْتُ فِي عُنُقِي جَمْعًا

مِنَ الْعِيَالِ ، فَمِنْ أَيْنَ لِي مَا أَطْعِمُ بِهِ هَذَا الْجَيْشَ مِنَ الْعِيَالِ وَأُمَّهَمُ ؟

فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَقَالَ :

- قَدْ حَمَلْتَنِي هَمُّكَ وَهَمُّ عِيَالِكَ الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا إِلَى الدُّنْيَا ،

وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ آيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ ... قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بَعِثَرِينَ
أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَبُسْتَانَ مِنْ أَجْوَدِ الْأَرْضِ مَزْرُوعًا بِالْمَحَاصِيلِ
وَالْخَضَرِ وَالْفَاكِهَةِ ، حَتَّى تُنْفِقَ عَلَى عِيَالِكَ ..
فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ :

— أَكْرَمَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا أَكْرَمَنِي وَبَارَكَ فِي عُمْرِهِ ..



فقال المهدي :

- هل لك في حاجة أخرى ؟ !

فقال أبو دلّامة :

- لا ..

فقال المهدي :

- إذن زوجوه وأعطوه كل ما أمرت له به ، ولا تعد إلى ثانية ..

فقال أبو دلّامة :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم لقليل : اقعدوا يا آل عباس ..

ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلكم

إلى السماء فأنتم أكرم الناس ..

(تمت)